العربي وتعيين مواطن الداء فيه. وتبعا لذلك لم تكف المعيارية لتعيين مواطن الداء في النحو العربي [1].

لعل أوّل أسباب ذلك أن مفهوم المعيارية عند تمام حسان ينضوي ضمن ثنائية غير محكمة البناء وأن مفهوم الوصفية الذي وضع ليكون مقابلا له لم يكن ضديدا تاما له فالوصفية ليست نقيضا للمعيارية وإنما هي نقيض للتأمل الفلسفي العقيم. بدليل أن المعيارية قد تجتمع مع ضديدها وتقترن به على نحو ما اقترنت به في الحضارة الهندية. يدل على ذلك أيضا أن الدواعي المعيارية التي أوجدت النحو العربي لتمكين المتكلمين من أداة تعصمهم من اللحن في النص القرآني [2] لم تمنع النحاة العرب من الوصف على الأقل في الفترة الأولى من نشأته ممثّلة في كتاب سيبويه كما يقر بذلك تمام حسان. وبهذا الاعتبار لم تظهر المعيارية في النحو العربي إلاّ متأخّرة مع انتهاء عصر الاستشهاد وتوقف الاسنقراء [3]، وحين اضطرّ النحاة إلى أن يدوروا حول ما وضعه السلف من قواعد فجعلوا كلامهم عنها لا عن مادّة اللّغة حسب تعبير تمام حسان. فإن تابعنا قول تمام حسان إلى منتهاه استنتجنا أن النحو العربي اشتمل على فترتين: فترة وصفيّة تقف عند عصر الاستشهاد وفترة معياريّة تبدأ بانتهائه وبتوقف الاستقراءورفض تجديد الشواهد. فإن كان ذلك كذلك لَمْ نفهم لِمَ لا يمكن التقريب بين سيبويه وبانيني ولِمَ لا يمكن التقريب بين التراث النحوي العربي في فترته الوصفيّة وبين النحو الهندي والسؤال الأهمّ من كلّ هذا كيف تحتفي اللسانيات بالنحو الهندي أو بالنحو العربي إن صحّت مشابهته له رغم وضوح دواعيهما المعياريّة ؟ ألا يمثل ذلك تناقضا يمكن أن ينفي جدّتها ويسويّها بالمعارف القديمة التي تدّعي تميّزها منها ومفارقتها إيّاها.

إن سبب هذه المآزق والتناقضات الّتي وقع فيها صاحب كتاب "اللّغة العربية معناها ومبناها" يعود إلى ضعف التفكير في طبيعة النظرية العلميّة عموما وإلى عدم الانتفاع من تمييز ابيستمولوجي في النظريّة العلميّة بين الفرضيات العامّة

---

1 المعيارية والوصفية ص 3

2 اللغة العربية معناها ومبناها ص 13/11.

3 اللغة المعيارية والوصفية ص 4.